دور المراة فی الشعر الاسلامی۔ دراسة وصفية

THE ROLE OF WOMEN IN ISLAMIC POETRY AND ITS COMPREHENSIVE STUDY

د.عبدالمجيد البغدادي* / رحمت باؤجي**

Abstract:
Arab women have participated in the poetic movement during early period of Islam particularly under the Umayyads and the Abbasids. Their contribution is considerably comparable with what of the Arab women played in pre-Islamic era. Al-Khansa is considered one of significant poetess during the early period of Islam. This study aims to analyze the works of leading poetess of early period particularly Sakina bint Hussayn and Bathnah bint Hibba al-Azriya. This paper also highlights the contribution of Arab women in the field of eloquence and rhetoric. It has also been observed that Arab poetess were significantly inspired by the Quranic themes and benefited greatly from them.

Keywords: Arab, Women, Poetry, Umayyad, Abbasid

المدخل

قد شاركت المرأة العربية في الحركة الشعرية في ظل النظام الإسلامي بعد أن لعبت دوراً هاماً في الجاهلية و ظهرت فئة من الشواعر النابغات والمجيدات من صدر الإسلام إلى العصور المتأخرة والعصر الحاضر. فسايرن الرجال في ميادين الفصاحة و البلاغة و ساهمن معهم في حب الشعر و في إدراك نصيب منه وطرقن كل أبواب الشعر المعروفة في زمنهن وجئن بكلام طريف متطور بمقتضيات عصورهن. كما نرى في الصدر الإسلامي الشاعرات المخضرمات اللاتي قد وجدن شطراً من حياتهن في الجاهلية وشطراً آخر في الإسلام فأنشدن الأبيات وعالجن جميع الأغراض المروجة فكانت لهن منازل مرفوعة في مجال الشعر لأنهن عاصرن ظهور معجزة الإسلام ، وهي القرآن واستفدن منه كثيراً. و عرفن به معان جديدة و أفكاراً عليا. و اتخذن تعابير منه كالخنساء كانت سيدة المخضرامت شعراً. وكان جل شعرها الرثائي في الجاهلية. لكنها لما أسلمت. افتتح لها باب جديد من المعاني والأفكار وفقاً للتعاليم الشريعة. هي التي قالت في الجاهلية ترثي أخاها :

---

* أستاذ مساعد قسم اللغة العربية ، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد

** باحث بمرحلة الدكتوراه، جامعة أردو فيدرالية، كراتشي.

أرى الدهر يرمي ما تطيش سهامه
وليس لمن قد غاله الدهر مرجع[۱]

وهي التي تقول في حياتها الإسلامية ترثيه أيضاً:

قائلين تعزى عن تذكره
فالصبر ليس لأمر الله مردود[۲]

وجدناها في كلا العصرين أنها قد أطبق الحزن عليها و ران على صدرها الهموم لكنها عدت في الجاهلية الدهر مسئولاً عن الموت ، و في الإسلام هو من أمر الله الذي لايرد ، و هذا معنى جديد يتنافي ماعرفته قبل. كذلك الأمر في غيرها من الشواعر المخضرمات، كن يتمتعن من فضائلهن المكسوبة و مواهبهن الموروثة تحت ظل الإسلام أكثر من قبل. فلمعت أسماء كثيرة أكثر من الحصاء في سماء الشعر الإسلامي و الأموي والعباسي حتى الحاضر و تطور الشعر النسوي بمساهماتهن مع ميزات مختلفة لكل عصر و مصر .

كانت الشاعرة الجاهلية يظل شعرها رهنا بالر ثاء أو البكاء أو ببعض الموضوعات التقليدية من المدح و الهجاء و الحكمة ، لكن لما جاء عصر الإسلام و هو عصر الفتوحات و الصراعات ، و أقيم نظام مركزي في المجتمع ، توجهت المرأة إلى الناحية هذه بمشاركتها الفعالية و قدمت إسهاماتها الواضحة في موضوعات مهمة كالسياسة و الحماسة كما ذكرت عنها الدكتورة مي يوسف خليف في كتابها مفصلا فتقول:" كأن المرأة الشاعرة وجدت من ضرورات حياتها أن تشارك في تلك المواقف التي غلبت عليها المسحة السياسية". [۳]

هكذا، لما جاء العصر الأموي وقد امتاز بكونه دور الفتوحات من جهة السياسة، و دور التأسيس من الجهة العلمية والأدبية، فقد شاركت المرأة في هذه النهضة الثقافية الأدبية كثيراً حتى أحاطت جميع العلوم المروجة مع اتقانها في الشعر والأدب خاصة، وقد حررتها الأحداث السياسية من ربقة الرثاء و الموضوعات التقليدية و فتحت لها طوراً جديداً، فيه سعة و انطلاق لأن أكثر الشعر النسائي في الجاهلية لم يتجاوز حدود الرثاء إلا أن بعض الشاعرات قد وثبن هذه الحدود، لكنهن لم يتطرقن إلى الغزل و وصف الجمال و الحب لأن مثل هذه الموضوعات كلها كانت محظورة علهن، وقد بدأ ظهور هذه الموضوعات الشعرية في الأدب النسوي في العصر العباسي على أيدي الشاعرات الأقيان والجوارى. فأنشدت الشاعرات بعد مجيئة الإسلام في جميع الأغراض المعروفة كالرجال الشعراء من عصورهن وأصبحن قسيمات لهم، وكان لهن جولات و صولات في جميع ماكان لهم من الشعر و الأدب.اشتهرت كثير من الشواعر المسلمات حتى امتلأ سجل

التاريخ الأدبي بأسمائهن، لكن لم يبق دواوينهن في تراثنا بكونهن المنسيات كالجاهليات من المتهمين بجمعهن، وما وجدنا إلا عدة قصائد و مقطوعات ، وهي أقل من أعمالهن و مساهماتهن. وأماعددهن كثير لا يسع لنا ذكرهن جميعاً في هذا البحث ، لذا نذكر أشهر من الشهيرات لكل عصر موجزاً.

دور المرأة في الشعر الإسلامي و نماذجه

أولاً رأينا في عصر النبوة فوجدنا فيه أكثر من سبعين شاعرة من الشواعر النابغات بين الصحابيات ، و على رأسهن الخنساء بنت تماضر وهى التي أشعر الناس في زمنها، و أما الشواعر غيرها كثيرات كصفية بنت عبدالمطلب، (عمة النبىﷺ وهي التي لم يختلف أحدٌ في إسلامها)كانت شاعرة مجيدة، ولها عدة قصائد مرثية في أبيها و أخيها و أخيها الشقيق حمزة وابن أخيه الرسولﷺ، قد ذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه أبياتاً ترثي فيها النبى ﷺ، منها:

لفقد رسول الله إذ حان يومه
فيا عين جودي بالدموع السواجم[۴]

كانت أسماء بنت أبي بكر شاعرة و أديبة ذات مقدرة على البيان والشعر ولها عدة قصائد و مقطوعات نجدها في كتب تاريخية، و نقل عمر رضا في أعلامه بعضاً من أشعارها التي تقرضها في الرثاء، فتقول في ابنه عبدالله بن الزبير:

ليس لله محرم بعد قوم
قتلوا بين زمزم و المقام
قتلتهم جفاة عك ولخم
و صداء و حمير و جذام[۵]

وهناك عاتكة بنت زيد كانت شاعرة من شواعر العرب ذات جمال و كمال، تعرف بخلق حسن و رجاحة عقل و جزالة رأى، ولها أشعار كثيرة في الرثاء لأزواجه و منهم عبدالله بن أبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب و زبير بن العوام ، و حسين رضي الله عنه، فمنها مارثت به زوجه الأول عبدالله بن أبي بكر:

فآليت لا تنفك عيني حزينة
عليك ولا ينفك خدي أغبرا[۶]

و منهن خولة بنت الأزور الأسدي كانت شاعرة إسلامية و ذات شجاعة من ربات الفرس و كانت أخت ضرار، ولها أكثر أشعارها فيه، قالت لما أسر أخوها:

ولم أنس إذ قالوا ضرار مقيد
تركناه في دار العدو ويممنا
فما هذه الأيام إلا معارة
وما نحن إلا مثل لفظ بلا معنى (۷)

وكانت هند بنت النعمان شاعرة بين الصحابيات، وكانت تلقب بالخرقة وهي من ربات الشعر و الأدب وهي مسيحية لم تدخل في الإسلام، ولها أشعار كثيرة و قيل في رواية أن لها عشر قصائد و قالت تنذر بكر بن وائل لما غضب كسرى على أبيه:

ألاأبلغ بنى بكر رسولا
فقد جدالنفير بعنقفير(۸)

و مثل هؤلاء الشاعرات الشهيرات في صدر الإسلام كانت توجد شواعر معروفات كثيرات كأروى بنت عبد المطلب و درة بنت أبي لهب و نعم بنت ثابت و غيرهن. و بعد ذلك، لما تصفحنا أوراق العصر الأموي، وجدنا شعر النساء لهذا العصر قد سجل تحسنا ملحوظاً مقارنة بعصرى الجاهلية و المخضرم فمن معالم هذا العصر ليلى الأخيلية، و رباب، وسكينة بنت الحسين، و أم البنين، و بثينة بنت حبا و ليلى العامرية و غيرها كثيرات. أما أشعر النساء و أعظم الشواعر لهذا العصر فهى ليلىٰ الأخيلية التي لا يتقدمها أحد من الشواعر سوى الخنساء، وهى قد برزت بمقدرتها على قرض الشعر فحظيت بمكانة لائقة و احترام كبير، و قيل فيها أنها أشعر من فحول الشعراء و كانت أكثر تصرفاً وأغزر بحراً و أقوى لفظاً و كانت بينها و بين النابغة الجعدي مهاجاة، و عدها الأصمعي أشعر من الخنساء، ولها قصائد كثيرة و مقطوعات غير معدودة(۹) وكان أكثر شعرها في عشيقها توبة، فقالت ترثيه:

أعينى ألا فأبكى على ابن حمير
بدمع كفيض الجدول المتفجر(۱۰)

فمن الأمويات سكينة بنت الحسين كانت شاعرة أنيقة ذات نبل و مقام رفيع و كانت جزلة يجالس في منزلتها الأجلة من الشعراء والأدباء والمغنين فيحتكمون إليها وقد ذكرها المؤرخون من سيدات العصر الأموي، وقال عنها وي سلان أحد الكتاب الأجانب في عهد الخلفاء "كانت أشهر نساء عصرها، و أعلاهن مقاماً، وأوفهرن ذكاء و عقلاً و أدباً، وأحدهن جناناً، أحرزت قصب السبق في مضمار الأدب و التفت حولها الشعراء والأدباء."(۱۱) وكانت من أحسن الناس شعراً قد تزوجت عدة أزواج، منهم مصعب بن الزبير فلما قتل، قالت سكينة ترثيه:

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذي
يرمي الموت إلا بالسيوف حراما
و قبلك ما خاص الحسين منية
إلى القوم حتى أوردوه حماما[۱۲]

وكانت محبوبة إلى أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما الذي قال فيها وزوجته الرباب بنت امرء القيس أم سكينة والتي كانت بنفسها شاعرة جيدة من شواعر العرب وقد رثت زوجها حين استشهد وكانت من أفضل نساء عصرها. [۱۳]

فقال الحسين فيها :

لعمرك إنني لأحب داراً
تكون بها سكينة و الرباب
أحبهما أو أبذل كل مالي
وليس لعاتب عندي عتاب[۱۴]

كذلك اشتهرت الدحداحة الفقيمية شاعرة بين شواعر أمويات و قد هجت الفرزدق حين هجا فقيماً ، فقالت تهجوه :

فيشلة هدلاء ذات شعشق
مشرفة اليانوخ والمحوق
قهبلس ذات حفاف أخلق
محبوكة ذات شبا مدلق[۱۵]

وهناك شاعرة أخرى كالدحداحة، هجت شاعراً عظيماً بعصرها الذي كان معروفاً بالأخطل، وهي جارية من قومه، تسمى بالدلماء، فهي التي يقول فيها الأخطل مخاطباً إلى أبيها:

ألا أبلغ ابا الدلماء عني
بأن عجان شاعركم قصير
فإن يصرع فليس بذي انتصار
و إن يطعن فطعنته يسير[۱۶]

وكانت بثينة بنت حبا العذرية شاعرة أموية اشتهرت بعشيقها جميل بن معمر الذي كان شاعراً أموياً أيضاً، أما بثينة ففي شعرها رقة ومتانة وصداقة فقالت في جميل:

و ان سلوى عن جميل لساعة
من الدهر ماحانت ولاحان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر
إذا مت بأساء الحياة و لينها (۱۷)

أما في العصر العباسي فهناك الكثير من الشاعرات النابغات أكثر من العصور المذكورة، و ينقسم شعرهن إلى شطرين: الشعر الذي تقوله القينة والجارية، فأكثره في الحب ووصف الطبيعة، والآخر شعر التصوف والزهد تقوله الشاعرات الغوانى التائبات، كذلك أحرزن كلهن قصب السبق في مضمار جميع الفنون الشعرية، و امتازت وقتئذ مع الشواعر الحرائر طبقة رفيعة من الشواعر الجواري، و كن شاعرات مثقفات ومهذبات، فهناك نخبة كبيرة منهن حتى يتميز ذلك العصر بأدب الجواري.

و أطول اليد في الشعر العباسي فهي علية بنت المهدي، وهي أخت هارون الرشيد المعروف في التاريخ الإسلامي بنت الخليفة المهدى، كانت ذات جمال و صوت حسن وكانت أكثر النساء ظرفاً و علماً و ذكاء إلى أنها ذات مقدرة على الشعر و البيان، كانت الشاعرة علية تقرض الشعر في الغزل و الحكمة والوصف، وكانت عالمة متفننة و مطربة عذوبة، ولها قصائد كثيرة وديوان شعر و فيه إبداع وصنعة. (۱۸) و من شعرها قولها:

كتمتُ اسم الحبيبِ منَ العبادِ
وردَّدْتُ الصَّبابةَ في فؤادي
فوا شوقي إلى بلدٍ خَليٍّ
لَعَلّي باسم من أهوى أُنادي (۱۹)

و قد عاصرتها عريب جارية المأمونية و كانت شاعرة، مغنية، أديبة ولدت ببغداد و نشأت في قصور الخلفاء فأعجب بها المأمون فقربها حتى انتمت إليه بالمأمونية. ولها أخبار كثيرة مع مأمون الرشيد، وكانت شاعرة حسنة الوجه و خفيف الروح ولها أشعار كثيرة. (۲۰) و من شعرها في الخليفة المتوكل لما أفاق من علته، فقالت:

شكر الأنعم من عافاك من سقم
دمت المعافي من الآلام و السقم
عادت ببرديك للأيام بهجتها
واهتز نبت رياض الجود والكرم (۲۱)

و كانت الخليفة المتوكل مغرماً بالجواري الحسناوات الشاعرات، فله كثيرات، و منهن فضل الشاعرة كانت نابغة الشعر و فصيحة البيان و سريعة البديهة ولم يكن في عصرها أشعر منها من الشواعر الحرائر و لا من الجواري والقيان، حتى قال عنها صاحب فوات الوفيات:

"كانت من مولدات اليمامة، ولم يكن في زمانها أفصح منها و لا أشعر"(۲۲)

وكانت عريب المذكورة تغنى أشعار فضل بصوتها الحسن، و استحسن المتوكل أشعارها لما انشدت يوم أهديت إليه، فقالت:

إنا لنرجو يا إمام الهدى
أن تملك الملك ثمانينا
لا قدس الله إمراء يقل
على دعائي لك: آمينا(۲۳)

و من جواري المتوكل كانت شاعرة شهيرة أخرى، وهي بنان الكاتبة الشاعرة و قد ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه، و شعرها الشهير قولها:

وعندي لها العتبى على كل حالة
فما منه لي بد و لا عنه مذهب (۲۴)

مثل بنان كانت للمتوكل جواري شواعر شهيرات و منهن قبيحة و محبوبة و غيرهما.

خلاصة البحث

أن العصر العباسي هو عصر أداب الجواري و شعرهن، فوجدت جواري كثيرات للخلفاء والأمراء الآخرين غير المتوكل و المهدي، و كن مطبوعات حقاً في قول الشعر كغصن جارية ابن الأحدب النخاس، و فنون جارية يحى بن معاذ، و قاسم جارية بن طرخان، و علم جارية أحمد بن يزداد، و مراد جارية على بن هشام، و مثل جارية ابراهيم بن المدبر، و نسيم جارية المأمون، و عنان جارية الناطفى، و دنانير و غيرهن كثيرات لا تحصر. (۲۵)

و إلى جانب هؤلاء الجواري و المغنيات كانت حرائر بنات الخلفاء من الشواعر العباسيات الشهيرات، كعائشة العباسية بنت الخليفة المعتصم الأديبة الشاعرة، و خديجة بنت عبدالله المأمون الشاعرة الظريفة، و ثواب بنت عبدالله الحنظلية الشاعرة الماجنة المحسنة بهمذان، و ثمامة بنت عبدالله بن سوار القاضي البصري، وبوران بنت الحسن بن سهل الأديبة والشاعرة و غيرهن كثيرات غير معدودات. (۲۶)

و بعد العصر العباسي جاءت النهضة الجديدة في الأدب العربي و تطور جميع الفنون الأدبية تطوراً بالغاً فقفز الشعر النسائي و ثباتِ أيضاً و زهت فيه نجوم من الشواعر المتأخرات كالشاعرة عائشة عصمت التيمورية ولها أشعار في اللغات الثلاث العربية و التركية و الفارسية، و اسم ديوانها المطبوع حلية الطراز. ومن شعرها:

بيد العفاف أصون عزحجابي
و بعصمتي أسمو على أترابي[۲۷]

فهناك شاعرات جديدات أخرى كالشاعرة و الأديبة مي زيادة و الشاعرة المعروفة بباحثة البادية، والرائدة في الشعر الحر أي نازك الملائكة و الشاعرة فدوى طوقان و الشاعرة عائشة الباعونية و الشاعرة وردة اليازجي وغيرهن كثيرات تحفل أسمائهن سجل الأدب الجديد. فهذا هو الدور الذي أدته الشاعرات في الشرق الإسلامي، وهو أبرز تجليات الإبداع من الشعر النسوي في العصور المختلفة و الوقع أنه لم يصل إلينا منهن إلا الكم القليل بقصر الاهتمام إليه من المؤرخين.

الهوامش والمصادر

۱۔ الخنساء(شاعرة بني سليم)، الدكتور محمد جابر عبدالعال الحسيني، مؤسسة المصرية العامة،۱۹۶۳. ص:۱۵۲

۲۔ نفس المرجع، ص: ۱۷۷

۳۔ الشعر النسائي في أدبنا القديم، الدكتورة مي يوسف، مكتبة غريب الفجالة، مصر ۱۹۹۱. ص: ۶۶

۴۔ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، المكتبة البخارية الكبرى، القاهرة، ۱۹۳۹. ج/۴،ص:۶۰

۵۔ نفس المرجع، ص:۲۲۵

۶۔ نفس المرجع، ص:۳۴۶

۷۔ الأعلام، الزركلي، خيرالدين، دار الكتاب العربي، مصر. ج/۲،ص:۳۲۵

۸۔ شاعرات في عصر النبوة، محمد التونجي، دار المعرفة، بيروت. ص:۴۲

۹۔ زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحق القيرواني، دار الجيل، بيروت،۱۹۷۲. ج/۴، ص:۹۹۸

۱۰۔ أعلام النساء، عمر رضا الكحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت،۱۹۸۹. ج/۴، ص:۳۲۲

[۱۱]۔ المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، محمد جميل بهيم، دار النشر للجامعين،۱۹۶۲. ص: ۱۳۵

[۱۲]۔ أعلام النساء، ج/۲،ص:۲۱۷

[۱۳]۔ نفس المرجع، ج/۱،ص: ۴۳۸

[۱۴]۔ نفس المرجع، ص: ۴۳۹

[۱۵]۔ موسوعة نساء شاعرات، محمد شراد، مكتبة هلال، بيروت. ص: ۹۵

[۱۶]۔ نفس المرجع، ص: ۹۸

[۱۷]۔ أعلام النساء، ج/۱، ص:۱۱۰

[۱۸]۔ موسوعة نساء شاعرات، ص: ۲۶۷

[۱۹]۔ نزهة الجلساء في أشعار النساء، السيوطي، جلال الدين، دار المكشوف، بيروت، ۱۹۵۸. ص: ۸۲

[۲۰]۔ أعلام النساء، ج/۳، ص:۲۶۱

[۲۱]۔ نفس المرجع، ص: ۲۶۱

[۲۲]۔ فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، دار صادر، بيروت. ج/ ۱،ص: ۱۲۶

[۲۳]۔ أعلام النساء، ج/۴، ص: ۱۷۲

[۲۴]۔ نفس المرجع، ج/۱،ص:۱۴۸

[۲۵]۔ نفس المرجع.

[۲۶]۔ أعلام النساء، ص: ۱۵۲

[۲۷]۔ حلية الطراز، ديوان عائشة التيمورية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ۱۹۵۲. ص:۲۲۵